التعايش السلمي نحو مقاربة لنبذ الكراهية وخطابها

أ.م.د رنا علي خلف الشجيري
ranaalshujairi@comc.uobaghdad.ed.iq
جامعة بغداد/ كلية الاعلام/ قسم العلاقات العامة

Peaceful coexistence towards an approach to reject hate and its discourse

Assistant Professor Dr: Rana Ali Al-Shujairi
Baghdad University /College of Mass Communication, Department of Public Relations

المستخلص

مابين احترام للتنوع والتعدد والاختلاف والفهم الإنساني للآخر الشريك في الوطن المختلف في المعتقد أو المغاير في القومية يبث خطاب الكراهية حالة من الرفض والإقصاء والتهميش تجاه الاخر عبر تكريس التمييز وتقويض الحقوق الأساسية– كالعدالة والمساواة وحرية الفكر– والتحريض على العنف والتطرف وبصورة تؤدي إلى انسحاب الاخر من الحياة العامة والتوقف عن لعب دور ايجابي واستبداله بدور سلبي مسببا" لمزيد من التصدع والانشقاق والحروب الأهلية والدعوات الانفصالية وتشضي الاستقرار السياسي .

الكلمات المفتاحية: التعايش, السلمي, الكراهية

Abstract

Between respect for diversity, pluralism, difference and human understanding of the other, partner in the homeland, differing in belief, or other in nationalism, hate speech incites a state of rejection, exclusion and marginalization towards the other, by perpetuating discrimination and undermining basic rights - such as justice, equality and freedom of thought - and incitement to violence and extremism And in a way that leads to the withdrawal of the other from public life and the cessation of playing a positive

role and replacing it with a negative role, causing more rifts and schisms, civil wars, separatist calls, and eroding political stability.

Keywords: coexistence, peace, hate

المقدمة

مابين احترام للتنوع والتعدد والاختلاف والفهم الإنساني للآخر الشريك في الوطن المختلف في المعتقد أو المغاير في القومية يبث خطاب الكراهية حالة من الرفض والإقصاء والتهميش تجاه الاخر عبر تكريس التمييز وتقويض الحقوق الأساسية– كالعدالة والمساواة وحرية الفكر– والتحريض على العنف والتطرف وبصورة تؤدي إلى انسحاب الاخر من الحياة العامة والتوقف عن لعب دور ايجابي واستبداله بدور سلبي مسببا" لمزيد من التصدع والانشقاق والحروب الأهلية والدعوات الانفصالية وتشضي الاستقرار السياسي .

وهكذا أصبح التفاوت على كافة المستويات هو القانون السائد بين نحن و الاخر بل إن هذا التفاوت ارتبط عفويا" بسيطرة القوي على الضعيف والمتقدم على المتأخر ضمن علاقة مركبة تتضمن القبول والخنوع والاحتذاء كما تضمن الرفض والتمرد والتحدي والارتداد للماضي والعودة إلى الذات وبحسب السياقات والظروف .

وهنا لابد من إيجاد مقدمة منطقية أولية لمنهاج جديد قادر على محاورة الاخر والتعاون معه لخلق قواسم تشاركيه في مجتمع واحد يستوعبنا معا"وبالشكل الذي يجعل من المواطنة والتسامح مرتكزان أساسيان لتبني التعايش السلمي أولا" وتحقيق المساواة بين مختلف المكونات ثانيا" ونبذ كافة أشكال الكراهية والتطرف ثالثا" .

لذا فأن التحدي الحقيقي في عالم اليوم ألتعددي والمتنوع تتمثل بالمعرفة العلمية والعملية لحاجاته ومتطلباته الأساسية بشان التغيير والتقدم عبر التطور لتحقيق الوسطية والاعتدال والبحث الإنساني المشترك وفق سياق ما نطلبه لأنفسنا ومن الاخر أيضا".فالمسألة ليست في حدود الرغبة والشعار، أو في وجود القناعة النظرية، بل ترتبط بواقع حياة المجتمع، وشكل العلاقات الحاكمة بين قواه وفئاته .

إشكالية البحث : تقوم هذه الإشكالية على الكيفية التي يتم بها بناء مجتمع تشاركي وفق أطروحتين أطروحة احترام التنوع وقبول الاختلاف والخلاف الناتج عنه . وأطروحة التعايش السلمي مع الاخر المختلف والمغاير .

فرضية البحث :تقوم هذه الفرضية على تبني مفاهيم و أسس واليات المواطنة والتسامح في مجتمعات التنوع وصولا" لإقامة منهج التعايش السلمي مع الاخر وتعزيز الاندماج والوحدة الوطنية .

هيكلية البحث : في ضوء ما تقدم تم تقسيم الدراسة على النحو التالي ,

المبحث الأول المواطنة والتعايش السلمي .

المبحث الثاني, التسامح والتعايش السلمي .

المبحث الأول

المواطنة والتعايش السلمي

تعد المواطنة احد مرتكزات التعايش السلمي لما تنطوي عليه من اعتراف بوجود المواطن ,فالمواطنة هي الوصف السياسي المتعلق بالآخر في العلاقة مع الدولة .

فهي السلوك البناء الذي تطغى فيه المصلحة العامة على الخاصة في ضوء تعدد وتنوع مكونات الشعب الواحد فهي حراك جماعي للشعب في إطار الوطن الواحد عبر عملية يتم بها تفعيل المركب الحضاري العام بتنوعه .

وبمعنى آخر فإن المواطنة هي تعبير عن طبيعة وجوهر الصلات القائمة بين (الوطن) وكل من يحيى فيه (المواطن) بغض النظر عن ثقافته أو انتمائه وعند ذلك ندرك مستويات الشعور بالمواطنة وعلى النحو التالي[١]

- شعور الفرد بالروابط المشتركة بينه وبين بقية أفراد الجماعة كالدم والجوار والموطن وطريقة الحياة بما فيها من عادات وتقاليد ونظم وقيم وعقائد ومهن وقوانين وغيرها.

١. المواطنة (المفهوم - الأسس – الأهداف) , الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية, ٢٠١٩,مقال وارد على شبكة الانترنت -https://www.politics dz.com/community/threads/mlf-shaml-yn-almuatn-almfxum-alssalxdaf.6363

٢. حسين درويش العادلي , المواطنة , , ط٢ , دار المرتضى , بغداد , ٢٠٠٦, ص٢

- شعور الفرد باستمرار هذه الجماعة على مر العصور، وأنه مع جيله نتيجة للماضي وأنه وجيله بذرة المستقبل.
- شعور الفرد بالارتباط بالوطن وبالانتماء للجماعة، أي بارتباط مستقبله بمستقبلها وانعكاس كل ما يصيبها على نفسه، وكل ما يصيبه عليها.
- اندماج هذا الشعور في فكر واحد واتجاه واحد وحركة واحدة. إن المواطنة المتأتية من الانتساب والانتماء الطبيعي إلى الوطن ماهي إلا حق إنساني ووطني لا يمكن مصادرته أو القفز على استحقاقاته العملية فهي ليست منة من احد ليتم سحقها او تنظيم قياساتها الموضوعية وفق الأهواء أو القيم العنصرية الهابطة [٢] فعندما تنمو قيم المواطنة الصحيحة و تتجذر في البنيان الاجتماعي المنوع ينعكس ذلك وبصورة ايجابية عن طريق مستويين إلا وهما :

❖ المستوى *المحلي* وذلك عبر :

- الشعور بالهوية.
- التمتع بالحقوق المحددة دستوريا" .
- الواجبات والمسؤوليات والالتزامات المتبادلة .
- مسؤولية الفرد في المشاركة بالشؤون العامة.
- تقبل قيم اجتماعية معينة .

❖ المستوى *الدولي* وذلك عبر :

- احترام حقوق وحريّات الآخرين.
- الاعتراف بالثقافات المختلفة.
- الاعتراف بالديانات المختلفة.
- فهم أيديولوجيات مختلفة.
- تشجيع السلام الدولي.
- الدعوة إلى إدارة الصراعات بطريقة بعيدة عن العنف.

وتكرس المواطنة – بما تتضمنه من حقوق وواجبات متماثلة ومتوازية – التسامح مع الاخر على أساس المساواة والعدل لأجل المساهمة في بناء الوطن وتنميته والحفاظ

على التعايش السلمي فيه[١]. إذ إن العيش مع الآخرين والحوار معهم واحترامهم والتفكير معهم ومشاركتهم هي من الأهداف الأساسية للمواطنة [٢] لذلك فأن علاقات المواطنة هي وحدها التي تكفل للتعددية مضمونا" صحيحا" إذ هي حاصل إعادة توزيع أفراد المجتمع وفئاته أي الكل الاجتماعي على قاعدة الولاء للنظام المدني . فتتوزع الحقوق تبعا" لذلك على مواطنين يكون وازع السياسة والتمثيل لديهم خدمة الحق العام لا حيازة حق العصبية وتجديده عن طريق هضم حقوق العصبيات الأخرى[١].

فالمواطنة ليست مظاهر اجتماعية إجبارية تنتزع من المؤتلفين خصوصياتهم وعاداتهم في ممارسة حقوقهم التي تقوم عليها ثقافتهم، بل هي توحدهم في كليات جامعة مع الإفادة من إيجابيات التعددية والاختلاف والحفاظ على قدر من التسامح، لصياغة مجتمع موحد في إطار التعددية. فدولة المواطنة تسمح بقدر من الحريات الدينية والاجتماعية للجميع حتى الفئات الضعيفة والقليلة العدد، لتتيح لها فرصة الاندماج المعقول مع الأكثرية في كيان المجتمع وليسهل تفاعلها الايجابي وتكيفها معه بتوازن لا تصاحبه أعراض تثير حساسية بعض أطيافه ولا تضرّ وحدته ضمن أصول التعايش السلمي المعززة بقوة القانون[٢].

ولأجل ذلك لابد من تعددية سياسية تحمل في ثناياها كافة التعدديات الأخرى والتي تقر بقبول الآخر وبصور تشير إلى :

- الإقرار بتنوع النسيج المجتمعي وضمن هيكل هوية وطنية موحدة .
- احترام التنوع وقبول الاختلاف والخلاف الناتج عنه .
- التفعيل القانوني المناسب للتعبير عن حرية الرأي .

١. نوال إبراهيم , إشكالية مفهوم المواطنة وبنائها في مؤسسة التربية والتعليم , مجموعة باحثين , بناء الإنسان بناء العراق ,بيت الحكمة , بغداد ,٢٠٠٩, ص ١٨٦.
٢. علي خليفة الكواري ,مفهوم المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية ,مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت ,٢٠٠١, ص٣٤.
١. محمد محفوظ , الإصلاح السياسي والوحدة الوطنية كيف نبني وطنا" للعيش المشترك ,ط١, المركز الثقافي العربي , المغرب ,٢٠٠٤, ص١١١.
٢. احمد الغامدي , علاقة الهوية بالمواطنة وتحدياتهما , ٢٠١٧, مقال وارد على شبكة الانترنت/https://www.alyaum.com/articles/1114734

وبذلك يعتمد تحقق التعايش السلمي بين مختلف الأطياف في الدولة الواحدة على طبيعة التعامل الذي تمارسه السلطات السياسية والاجتماعية فإذا ما كان التعامل مرنا" لكل تلك الأطياف المنوعة فسيقود إلى تحقيق الاندماج الوطني والتمسك بالهوية الوطنية أما إذا كان التعامل مفتقرا" للحرية والعدالة وقائما" على التهميش والإقصاء والتميز فسيؤدي إلى مزيد من التوترات والصراعات والتمسك بالهويات الفرعية [٣]. إذ أن التمسك با لولاءات الضيقة بمختلف إشكالها تسهم في تشكيل بنية تاريخية مغلقة واقعيا" لا تؤمن بالتعايش والتسامح وهنا لابد من تشييد أسس فكرية قادرة على تفكيك تلك الو لاءات أو تذويبها أو جعلها بمرحلة اقل أهمية أمام الولاء للوطن والمواطنة كولاء رئيس[٤].

فدولة المواطنة تشترط أن يتحمل الجميع مسؤولية صنع الوحدة الوطنية وفهم جدلية العلاقة بين (نحن) و (هم) إذ أن الانتماء هو شعور الإنسان بالانخراط بجماعة بشرية ما واعتناقه لرموزها وتقاليدها وهذا الشعور هو الذي يعطيه ذاتية ثقافية وخصوصية ما وهو الذي يضع الحدود بين الجماعات الإنسانية أين تبدأ وأين تنتهي إن كانت ألفة وصداقة أو منافسة وعداوة أم خليط من الاثنين[١].

فالمواطنة هي العامل البنيوي لإنتاج هوية ضمن اندماج وطني في إطار الجماعة المسماة الدولة عبر الروح المشتركة الناتجة من اندماج كافة ألا عراق والطوائف والكيانات والتي تشكل بمجموعها الثقافة الوطنية الكلية اللازمة لقاعدة الهوية الوطنية في تعبيراتها المتنوعة .

---

٣. محمد محفوظ , الأقليات وقضايا الديمقراطية في العالم العربي , الديمقراطية , العدد٢٣, ٢٠٠٦, ص ٩.

٤. حسام محي الدين الالوسي , في الحرية مقاربات نظرية وتطبيقية , بيت الحكمة , بغداد ,٢٠١٠ , ص ٣٢٠.

١. نيفين مسعد وعلي الدين هلال , النظم السياسية العربية قضايا الاستمرار والتغيير ,ط١,مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ٢٠٠٠ , ص

وبالتالي يمكننا القول أن أفضل نظام ينتج هوية وطنية واحدة في دولة تتسم بالتعايش السلمي رغم تنوع نسيجها المجتمعي يقوم على النقاط التالي[٢].

- فاعلية المشاركة السياسية .
- فاعلية المساواة .
- فاعلية القانون وسيادة المؤسسات الدستورية .

فاعلية المجتمع المدني عبر حركية مؤسساته المتنوعة .

أن المجتمع المدني هو تضامني يقوم على شبكة واسعة من التنظيم ألجمعياتي هو مجتمع للتسامح والحوار وقبول الاخر مجتمع تشاركي يسوده نكران الذات والانسجام والألفة والاعتراف المتبادل عبر علاقة متوازية قائمة على الأخذ والعطاء وبذلك تكون مساحة حقيقية للتعايش السلمي مؤسس على فضيلة الاعتدال والانضباط الذاتي . إذ يرتبط المجتمع المدني بقيم أساسية هي الحرية والتعدد والتعايش ضمن الاختلاف وحل الخلافات بالوسائل السلمية وبذلك يقتضي الانخراط في المجتمع المدني التحلي بهذه القيم على المستوى الثقافي والسلوكي من خلال خدمة الآخرين أيا" كان جنسهم أو عرقهم أو عقيدتهم . وبذلك تكون إقامة المجتمع المدني مشروطة بمشاركة كل مكونات المجتمع في بناء الدولة ومراقبتها وتحييد سلطتها لمنع استبدادها وهيمنتها فكلما كانت الآراء السياسية أكثر تنوعا" كان هذا المجتمع أكثر فهما" ووعيا" بالتعايش السلمي[٣].

وفي الإطار نفسه فأن نجاح نظام مبني على التعايش السلمي يستوجب تربية مدنية ذات نسق قيمي جديد قائم على ما يلي :

- الحرية بدلا" من السلطوية .
- المعرفة بدلا" من الامتلاك المادي .
- العمل الجماعي عوضا" عن الفردية .
- الكفاءة بدلا" من المحسوبية .

٢. حسين العادلي , مصدر سابق , ص ٢٧.
٣. حسين السيد بحر العلوم , المجتمع المدني في الفكر الإسلامي , مركز النجف للثقافة والبحوث ,٢٠٠٨ , ص ١٧٢.

- التعاقد الاجتماعي بدلا" من الو لاءات الضيقة .

وعليه فان مؤشرات الهوية الوطنية للدولة ستكون قائمة على إعادة إنتاج الذات الوطنية في أبعادها كافة والتي تكون محصلة للسياسات العامة والتفاعلات الرسمية وغير الرسمية بين عدد من الفاعلين داخل كيان الدولة ابتداء" من الحكومة إلى المواطن الفعلي إلى المجتمع المدني الحقيقي[١].

وبهذا تكمن مسؤولية الدولة في

- إرساء مفهوم الحوار مع الاخر في إطار المواطنة الحقيقية والتي تصب في تحقيق التعايش السلمي .
- قيام دولة المؤسسات عبر تداول سلمي للسلطة .
- تبني منهج الاعتدال والوسطية لعقلنة العلاقة بين السلطة من جهة والأطياف المتعددة من جهة أخرى .

وبذلك تصبح التعددية مظهر من مظاهر الحداثة السياسية يتمثل في وجود مجال اجتماعي وفكري يمارس فيه الحرب بواسطة السياسة أي الحوار والنقد والاعتراض ومن ثم التعايش في إطار من السلم القائم على الحلول الوسطى المتنامية [٢].

كما وان الاختلاف في الانتماء الأيدلوجي أو القناعات الفكرية والسياسية، لا يشرع بأي حال من الأحوال إلى انتهاك الحقوق. فالاختلافات ليست سبباً أو مدعاة لنقصان الحقوق، وإنما تبقى حقوق الإنسان مصانة وفق مقتضيات العدالة ومتطلبات التعايش السلمي .

وإذ أكدنا على مسألة الشروط، فلأن فكرة التعايش السلمي مركزيّة جدًا في كيفية تصور الشعب، وأيضًا تمثل شرطًا لا غنى عنه لبلوغ مرتبة المواطن. فلا مواطنة دون تغلغل واع لفكرة التعايش السلمي في الممارسات وأنماط السلوك كافة[١].

---

١. حسين العادلي , مصدر سابق , ص ٢٧.

٢. سليم فرحان جيثوم , التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة ,المواطنة والتعايش , العدد ٨, بغداد , ٢٠٠٩ , ص ١٧

١. آمال موسى , هل العيش المشترك ممكن في بلدنا , ٢٠١٦, مقال وارد على شبكة الانترنت https://aawsat.com/home/article/1304626

مطلوب منا التوغل حثيثًا في مجال العقلنة والعقلانية، حتى يكتسب السلوك الاجتماعي القدر اللازم من العقلنة، التي وحدها تعطي إشارة التحول إلى مواطنين وإلى شعب، ذلك أن الشعب هو تجمع ضخم للغيرية بكل اختلافاتها والعقل الهاضم لفكرة العيش المشترك هو الذي سبق أن هضم فكرة الحرية والمسؤولية، ولا مشكلة ثقافية رمزية له مع حقوق الإنسان. فعندما نبلغ مستوى عقلنة العلاقة مع الغير، سنقبض على المفتاح القادر على فتح أبواب عدّة.

المبحث الثاني

التسامح والتعايش السلمي

أرتبط ظهور مفهوم التسامح تاريخياً بوجود التجمعات الإنسانية منذ أقدم العصور وارتباطه بفكرة الاعتراف بالحقوق والحريات الأساسية للآخر. وقد أسهب العديد من المفكرين الغربيين في صياغة هذا المفهوم وتأطيره بالشكل الذي يتلاءم مع ثقافة كل عصر ودون أن ينال من جوهر فكرته القائمة على قبول الآخر ومن أمثال هؤلاء المفكرين جون لوك ومونتيسكيو وفولتير حيث اعتبروا التسامح بمثابة دعامة أساسية للتحقيق التعايش السلمي بين مختلف المكونات وفي إطار الوطن الواحد . فيقول (فولتير) على سبيل المثال إننا " كلنا ضعفاء وميالون للخطأ، لذا دعونا نتسامح مع جنون بعضنا البعض، بشكل متبادل، وذلك هو المبدأ الأول لقانون الطبيعة،بل هو المبدأ الأول لحقوق الإنسان كافة[٢], فالتسامح هو موقف ايجابي متفهم للعقائد والأفكار يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا" عن الاحتراب والإقصاء على أساس شرعية الاخر المختلف سياسيا" دينيا, عرقيا", ... وحرية التعبير عن أرائه وعقيدته[١]. فالتسامح يعني الإقرار بان البشر المختلفين بطباعهم أو مظهرهم أو أوضاعهم أوسلو كهم أو قيمهم لهم الحق بالعيش بسلام . فالتسامح هو عماد لمنظومة

٢. الممارسة الديمقراطية وثقافة التسامح , معهد البحرين للتنمية السياسية ,٢٠١٣, مقال وارد على شبكة الانترنت https://www.bipd.org/publications/Articles/1290153.aspx

١. ماجد الغرباوي , التسامح ومنابع اللاتسامح , ط١, مؤسسة عارف للطباعة , بغداد, ٢٠٠٨ , ص ٢٠

الحقوق والحريات والتعددية والديمقراطية وسيادة القانون وهو ينطوي على نبذ الدوغمائية والاستبدادية وخطاب الكراهية .

وبهذا المعنى يشكل التسامح فضيلة قيمية وأخلاقية تسند الى ما يلي :

- حرية المعتقد.
- الإقرار بالتعدد والتنوع .
- تبني الحوار .
- نبذ خطاب الكراهية .

ولعل جميع المطالب الكبرى في كافة بقاع العالم والتي تتولى الصدارة تتأسس على قاعدة الحق في الاختلاف . وهو الحق الذي يتطلب قدرا" من التعددية والتعايش المبني على التسامح, والتسليم بحق الاختلاف ينطلق من قبول أو اعتماد الحوار المتكافئ والذي يفترض النقد وربما النقد المزدوج بحسب جان لوك وديفيد هيوم أي نقد العقل لتحرره من الميراث التقليدي ونقد النظام الاستبدادي انطلاقا" من مفهوم السيادة والشرعية ومصدر السلطة والقانون[٢].

فيغدو الحوار لغة للتسامح في الوقت الذي يغدو فيه التسامح مفهوما" حواريا"متبادلا" ولغة معمقة تحترم الرأي الاخر وربما دون القبول به وصولا" لتفعيله بوصفه أساسا" للتفاهم وتبادل الأفكار والآراء وإقرار الاختلاف كأسلوب حضاري لتعميق التعايش السلمي مع الاخر,ومن اجل فاعلية الحوار لابد له ان يكون مستجمعا" للشروط التالية[٣].

- أن يكون هنالك قاعدة معرفية كاملة عن الاخر .
- أن يكون الهدف من الحوار هو الوصول لمقتربات لا الجدل .
- الإنصات للآخر حتى وان كنا لا نتفق معه .
- أن لا تكون هنالك خطوط حمراء .

٢. عبد الحسين شعبان , فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي الثقافة والدولة , ط٢ , دار اراس للطباعة والنشر , اربيل , ٢٠١١, ص

٣. حميد فاضل حسن , دور مبدأ التسامح في تعزيز العملية السياسية في العراق, جامعة بغداد , كلية العلوم السياسية , بغداد , ٢٠٠٧ , ص ٩

- إلا يكون هنالك نزعة التشكيك أو السفسطة أو احتكار الحقيقة .

ويأخذ الحوار عدة مستويات وعلى النحو التالي :

المستوى الخارجي : ولغة الحوار هنا تكون بين الدولة الوطنية ودولة أخرى أو مجموعة دول أخرى .

المستوى الداخلي : ولغة الحوار هناك تكون وفق ترتيبين وعلى النحو التالي :

الترتيب الأفقي لغة الحوار تكون بين مكونات الشعب .

الترتيب ألعامودي لغة الحوار تكون بين الشعب والسلطة الحكومة .

ولابد من التأكيد أن حقيقة التعايش السلمي مع الاخر لا تتم إلا بالحوار وان كان هذا الاخر يحمل فكر معارض أو رأي مناقض أو معتقد أو عرق مغاير. صحيح أن الحوار بين الثقافات ليس مجرد حوار عقلاني وليس مناظرة فكرية صرفة . انه حوار حضاري شامل تغلب فيه آلية التنافس وتشحذ فيه كل أدوات الصراع كما انه يصبح أكثر عسرا" كلما كان التفاوت التاريخي اكبر بين ثقافتين تحملان رؤيتين مختلفتين للعالم : رؤية دينية ورؤية دنيوية ثقافة متمركزة على الإنسان والعقل والتاريخ وثقافة متمحورة حول المقدس والقدر انه بالتأكيد حوار صعب وتزيد من صعوبته الرهانات الأخرى السياسية و الاقتصادية والتقنية المرتبطة معه والتي لا يمكن فصلها عنه[١], انطلاقا" مما سبق فأن للتسامح أنواع تصب بجملتها في مكنون تحقيق التعايش السلمي مع الاخر وعلى النحو التالي[٢].

- التسامح الديني ,والذي يتيح لكل فرد ممارسة الشعائر والطقوس الدينية ونبذ التعصب المذهبي .
- التسامح الفكري والذي يتيح احترام مختلف الآراء وطرحها وفق مبدأ الحوار ونبذ التعصب إلا ديولوجي .

١. محمد سبيلا, عوائق التفاهم في الأديان السماوية , من كتاب التسامح وجذور اللاتسامح – مجموعة باحثين ,مركز دراسات فلسفة الدين, بغداد , ٢٠٠٥ , ص ١٢٧.

٢. هناء محمد حسين , مفهوم التسامح في الأديان السماوية , من كتاب التسامح في الديانات السماوية – مجموعة باحثين , بيت الحكمة , بغداد , ٢٠٠٩, ص ٩٦.

- التسامح السياسي والذي يتيح الحقوق والحريات السياسية والمساواة والديمقراطية في تقرير المصير ونبذ العنف والإقصاء والتهميش .

وتشجعنا هذه التصنيفات المهمة على القول انه الى جانب أدوات الضبط السياسي والاجتماعي التي تمارسه السلطة السياسية لتحقيق الاستقرار وتزويد النظام السياسي بسبل الديمومة فان للتسامح وبكل أنواعه دور أساسي في الحفاظ على هذه الديمومة بوصفه فضيلة أخلاقية وضرورة سياسية ومجتمعية وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها[١] .

ويقاس التسامح على أرضية مشتركة للأنا و الاخر قائمة على الحوار والانفتاح على الاخر وإمكانية الوصول الى أن أكون أنا على خطأ و الاخر على صواب فلابد من ترك الحرية للآخر للتعبير عن رأيه حتى لو كان خطأ أو مخالف . وعلى الرغم من تفاوت الثقافات على خط التطور التاريخي فأنها مدعوة في عصر التواصل الحالي الى الحوار والى استكمال إدارة الذات في مرآة الاخر والى ممارسة نقد ذاتي يهدف الى التخلص من الاستيهامات الذاتية ومن الأحكام المسبة تجاه الاخر وتغليب حوار المعنى على حوار القوة[٢] .

وفي الواقع، كان نزوع الإنسان الدائم نحو الحرية والعمل المتواصل من أجل التخلص من أنظمة الكبت والقهر السياسي والثقافي والديني هو الدافع الرئيسي لميلاد ونمو ثقافة التسامح في المجتمعات المختلفة وصولا" لتحقيق التعايش السلمي بينها. لقد أدرك الإنسان أنه ليس بإمكانه الحصول على حريته والتمتع بها إذا أنكر على الآخرين حقهم في الحصول على حرياتهم وقام باضطهادهم والتفرقة ضدهم ولقد ترتب على ذلك اتجاه الإنسان إلى الاعتراف بحرية الغير من الناس، وإلى إقامة النظم المجتمعية التي تعمل على تحقيق المساواة بين المواطنين وتحثهم على احترام الآخرين والإقرار بأن لكل

١. عبد الجبار احمد عبد الله , التسامح وطريق الحرب الأهلية , جامعة بغداد , كلية العلوم السياسية , بغداد , ٢٠٠٧, ص ٥.
٢. محمد سبيلا, مصدر سابق , ص١٢٧.

مواطن كامل الحق في العيش كما يريد واعتناق الدين الذي يريد[١], وبالتالي فأن للتسامح منظومة للتطبيق ترتكز على ما يلي : [٢]

- منظومة الفكر والفلسفة .
- منظومة العقيدة والدين .
- منظومة القيم والأخلاق .

إذ على الدولة رفض سيادة عقلية الأنا ورفض الاخر والتي تؤدي إلى تخبط كبير يغلب على القيادة السياسية وبصورة تجعل كل طرف يحمل في عقليته فكرا" أحاديا" تجاه الاخر بمعنى إن كل طرف يرى انه يمثل الخير والآخر يمثل الشر. فالدولة المتسامحة تمتاز بالقوة لأنها تقوم على حرية أفرادها في الفكر والتعبير والاعتقاد وبخلاف ذلك فالدولة غير المتسامحة في ثقافتها هي دولة شمولية تمتاز بالضعف والتفكك . فالحرية في ابسط معانيها تعني غياب قيم وسلوكيات الإكراه والقمع والعنف التي تعمق التطرف والإقصاء وتهميش الآخر وبصورة تؤدي إلى صراعات وحروب أهلية بدلا" من صورة الوحدة والتضامن والسلم .

والسبب يكمن في توفير الأثر الايجابي للحرية في إطار الوحدة السياسية والثقافية والمذهبية وبالشكل الذي يوفر المناخ الأمثل للحوار وتقابل الآراء وتصارع الحجج ووصول المتحاورون بعد ذلك إلى حقيقة الحل الأمثل[٣], وبالتالي ضمان السبل الكافية لتحقيق احد صور التعايش السلمي وعلى النحو التالي :

- الصورة النفعية وهي التي يتحقق بها التعايش السلمي بناء على رغبة التفاعل مع الاخر والتعامل معه بمنفعة متبادلة ومصلحة مشتركة بموجب أسس التوافق والمساواة في الحقوق والحريات .

١. محمد عبد العزيز ربيع , ثقافة التسامح والديمقراطية , مقال وارد على شبكة الانترنت https://www.albayan.ae/opinions/2006-02-24-1.894317

٢. نظلة احمد الجبوري ,التسامح مقولة أخلاقية ومقاربة فكرية , من كتاب التسامح في الديانات السماوية – مجموعة باحثين ,بيت الحكمة , بغداد , ٢٠٠, ص ١٨.

٣. محمد محفوظ , الإصلاح السياسي والوحدة الوطنية ,المركز الثقافي العربي , المغرب , ٢٠٠٤ , ص ٤٥.

- الصورة الواقعية وهي التي يتحقق بها التعايش السلمي بناء على طبيعة النظام السياسي الحاكم الذي يجعل من التفاعل مع الاخر و والتعايش معه أمرا" معاشا" على ارض الواقع بموجب القانون وديمقراطية المشاركة بكافة مستوياتها.

فالتعايش السلمي ليس ادعاء يدعى، وإنما هو مجموعة من الحقائق والمتطلبات تفضي إلى صياغة الواقع الاجتماعي المتعدد والمتنوع على أساس الحوار والاحترام المتبادل ونبذ ثقافة العنف وخطاب الكراهية والمفاضلة الشعورية، وتعميق ثقافة العفو وحسن الظن والتسامح، فالتعايش السلمي هو مشروع مفتوح على كل المبادرات والخطوات الايجابية، التي تستهدف تنقية الفضاء الاجتماعي والثقافي من كل الشوائب، التي تعكر صفو العلاقة وتحول دون تنميتها على الأصعدة كافة[١] .

فالتعايش السلمي هو الترجمة الواقعية للتسامح بمعناه الذي يشار إليه كخطاب فكري ثقافي ذا عملية تثقيفية مستمرة تستقطب ولاء الشخص ولو عبر مدى زمني طويل لتخطي عقبة تقاطع الو لاءات وصولا" لضمان النسق الجديد للحقوق والحريات والعدل والمساواة ولابد لتفعيل التسامح من وعي ثقافي يتوارى عنه كل خطاب يشوه المقدس ويغتال العقل ويصادر الحرية ويتنكر للحداثة فلابد من ثقافة التسامح بديلا" عن ثقافة التطرف[٢], لذلك فنحن مطالبون بما يلي :

- أهمية تحريم كل شكل من أشكال بث الكراهية والحقد بين أبناء الشعب الواحد .
- التوعية والتثقيف بالقيمة السابقة من قبل وسائل الاعلام كافة وبصورة تجعل من خطاباتها متوافقة معها .
- تعميق متطلبات التسامح والتعايش السلمي في الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي من قبل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في الدولة .

١. محمد محفوظ , حق العيش المشترك , ٢٠١٩ , مقال وارد على شبكة الانترنت http://www.alriyadh.com/12517

٢. نظلة احمد الجبوري , مصدر سابق , ص ٢٨.

فبوابة العيش المشترك في كل الأمم والمجتمعات، هي صيانة حقوق الإنسان وحماية كرامته وتعزيز حضوره ودوره في مشروعات التنمية والعمران .والاختلاف في الهوية أو الانتماء الأيدلوجي أو القناعات الفكرية والسياسية، لا يشرع بأي حال من الأحوال إلى انتهاك الحقوق, بل أن الآليات الذهنية التبريرية سواء من موقع القوة أو الهجوم أو من موقع الدفاع و التسويغ يندغم فيها بشكل رفيع مواجهة الذات ومواجهة الاخر . انه خطاب مزدوج يختلط فيه الخطاب الموجه الى الذات والخطاب الموجه الى الاخر أو لعلهما وجهان لخطاب واحد[١].

فنحن بحاجة إلى التسامح حتى لا يكون التعصب بديلا" عن التعايش وحتى لا يكون قمع الرأي ممكنا ولكي لا يكون العنف سبيلا" أو التكفير خيارا" . إذ يجب التركيز على المشتركات الحضارية بدل أوجه الاختلاف والتمييز ويفتح المجال أمام مختلف المكونات في أي دولة للتقارب والالتزام المتبادل بحقوق الإنسان وقيم المواطنة والديمقراطية في نطاق الحياد والموضوعية عند التعامل مع الآخر في كافة النواحي والابتعاد المطلق عن تغيير الحقائق على نحو يشوه صورة الآخر أو يسيء لهم[٢].

الخاتمة

أن المجتمعات القائمة على التعدد والتنوع يمكن التعاطي معها بوعي تام عندما يتحول التناقض إلى تكامل والتصادم إلى تعايش والتعصب إلى تسامح وذلك لان التنوع هو الواقع الملموس في عالم اليوم . فالمجتمعات الإنسانية لا يمكن أن تكون نهج للتعايش السلمي أن لم يكن وجودها من اجل الاخر ومع الاخر فالتعايش لا يمكن تصوره خارج فن التعايش المشترك .

وبناء" على ذلك لا يكون التنوع والاختلاف سببا" للصدام والصراع أو لإلغاء الاخر بل يمكن استثماره لتحقيق التكامل في المجتمع وهو ما يقتضي تشجيع التعارف وبناء جسور التواصل لتحجيم هوة الاختلاف لان التعارف هو تبادل للمعرفة من ناحية

١. محمد سبيلا, مصدر سابق , ص ١١٩.
٢. علي عبود المحمداوي , خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح , ط١, دار الروافد الثقافية ناشرون , الجزائر , ٢٠١٢ , ص ١٠٠.

وتبادلية الحق في الاختلاف من ناحية أخرى, فالتعارف ينزع الجهل بالآخر ويرسم صورة حقيقية مصاحبة للاعتراف به والتعايش معه وقبوله على أساس المواطنة والتسامح .

وفي هذا السياق فأن تجاوز حالة الانقسام والتفكك في المجتمع يتطلب قدرا" كبيرا" من الحكمة وروية العقل بهدف إعادة بناء نسيج المجتمع المتنوع وتفعيل الوحدة الوطنية وإشاعة نهج التعايش السلمي بين الأفراد عبر التأكيد على مفاهيم وقيم المواطنة والتسامح كونها لغة اليوم التي يجب أن تسود وتغليب مفهوم الحوار وتقبل الاخر واحترام رأيه والابتعاد عن خطابات الكراهية المجزئة للنسيج الاجتماعي .

لذا فأن الأمر بحاجة لجهود من قبل الدولة بكافة مؤسساتها من جانب والمواطنين من جانب ثاني . فلابد من إرساء الطرق الكفيلة لتجاوز المشكلات مع الاخر ومراجعة تاريخهم للوقوف على النقاط المسئولة عن حالات الاختلاف والتطرف بهدف تجاوزها . وتتولد هنا مسؤولية جماعية لبناء مجتمع ذا نهج سلمي في التعايش بكافة مدياته التعددية والمتنوعة . فهي مهمة تشاركيه لمختلف القوى المجتمعية من نخب سياسية أو اكادمية أو إعلامية وبشكل يجعل من تلك المهمة بمثابة مواجهة لكافة التحديات الداخلية والخارجية وإعادة بناء المجتمع وفق أسس ثابتة ومقبولة لنا وللآخر . وهذا يقودنا إلى ضرورة إيجاد بنية في المعرفة الانسانية محدثة الصياغة ومستنبطة حصرا" من التأويل الصحيح للفكرة لا من التفسير الجامد لها . فنحن اليوم نعيش في اطر التعدد والتنوع والتي تجبرنا على وضع الحد الفاصل بين خطاب الكراهية ونبذه والتعايش وتبنيه لذا فنحن بحاجة الى :

- التركيز على القيم الانسانية شكلا" وموضوعا".
- توطيد أركان ثقافة الحوار والتواصل والتسامح والسلم المجتمعي.
- بلورة ثقافة التعدد و آداب التنوع وأخلاقيات وضوابط الاختلاف .
- التركيز على النخب ذات الكفاءات العلمية والعقلية المنفتحة والمتحررة من كل رواسب المجتمع السياسية والقومية والطائفية والمذهبية .

- التركيز على الكل لا الجزء في تحقيق الصالح العام عبر تحقيق الاندماج الكامل بين شرائح المجتمع كافة" .
- رفض كل أشكال العنف والتعصب .

المصادر

١. احمد الغامدي. (٢١ ديسمبر, ٢٠١٧). علاقة الهوية بالمواطنة وتحدياتهما . مقال وارد على الموقع https://www.alyaum.com/articles/1114734/

٢. آمال موسى. (٢٠١٩). هل العيش المشترك ممكن في بلدنا.مقال وارد على الموقع https://aawsat.com/home/article/1304626

٣. حسام محي الدين الالوسي في الحرية مقاربات نظرية وتطبيقية بيت الحكمة بغداد (٢٠١٠)

٤. حسين السيد بحر العلوم. المجتمع المدني في الفكر الإسلامي مركز النجف للثقافة والبحوث النجف (٢٠٠٨).

٥. حسين درويش العادلي المواطنة ط٢ دار المرتضى بغداد (٢٠٠٦).

٦. حميد فاضل حسن دور مبدأ التسامح في تعزيز العملية السياسية في العراق ,(بغداد ، جامعة بغداد: كلية العلوم السياسية) (٢٠٠٧).

٧. سليم فرحان جيثوم التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة المواطنة والتعايش العدد ٨, (٢٠٠٩).

٨. صخري محمد. (٧ آيار, ٢٠١٩) المواطنة (المفهوم - الأسس – الأهداف) ,الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية, وارد على الموقع الالكتروني http://bit.ly/2E0Cbm3

٩. عبد الجبار أحمد عبد الله التسامح وطريق الحرب الأهلية ,(بغداد، جامعة بغداد: كلية العلوم السياسية) (٢٠٠٧).

١٠. عبد الحسين شعبان فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي الثقافة والدولة ط٢, دار اراس للطباعة والنشر, اربيل (٢٠١١) .

١١. علي خليفة الكواري مفهوم المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية مركز دراسات الوحدة العربية بيروت (٢٠٠١).

١٢. علي عبود المحمداوي خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح ط١, دار الروافد الثقافية ناشرون الجزائر (٢٠١٢).

١٣. ماجد الغرباوي. التسامح ومنابع اللاتسامح ط١, مؤسسة عارف للطباعة بغداد (٢٠٠٨).

١٤. محمد سبيلا ,عوائق التفاهم في الأديان السماوية من كتاب التسامح وجذور اللاتسامح - مجموعة باحثين مركز دراسات فلسفة الدين بغداد (٢٠٠٥).

١٥. محمد عبد العزيز ربيع. (٢٤ فبراير ٢٠٠٦). ثقافة التسامح والديمقراطية ,وارد على الموقع الالكتروني للبيان https://www.albayan.ae/opinions/2006-02-24-1.894317

١٦. محمد محفوظ الإصلاح السياسي والوحدة الوطنية كيف نبني وطنا" للعيش المشترك ط١, المركز الثقافي العربي المغرب (٢٠٠٤).

١٧. محمد محفوظ الأقليات وقضايا الديمقراطية في العالم العربي الديمقراطية العدد٢٣, (٢٠٠٦) .

١٨. محمد محفوظ. (٩ ديسمبر ٢٠١٩), حق العيش المشترك وارد على الموقع الالكتروني للرياض www.alriyadh.com/12517

١٩. مقالات. (٢٤ يوليو, ٢٠١٣). الممارسة الديمقراطية وثقافة التسامح . وارد على الموقع الالكتروني لمعهد البحرين للتنمية السياسية: https://www.bipd.org/publications/Articles/1290153.aspx
٢٠. نظلة احمد الجبوري التسامح مقولة أخلاقية ومقاربة فكرية من كتاب التسامح في الديانات السماوية -مجموعة باحثين, بيت الحكمة, بغداد (٢٠٠٩) .
٢١. نوال إبراهيم. إشكالية مفهوم المواطنة وبنائها في مؤسسة التربية والتعليم من كتاب بناء الإنسان بناء العراق - مجموعة باحثين, بيت الحكمة, بغداد (٢٠٠٩).
٢٢. نيفين مسعد و علي الدين هلال النظم السياسية العربية قضايا الاستمرار والتغيير ط١, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت (٢٠٠٠).
٢٣. هناء محمد حسين. مفهوم التسامح في الأديان السماوية ,من كتاب التسامح في الاديان السماوية - مجموعة باحثين، بيت الحكمة بغداد (٢٠٠٩).